١ ــ حَوَّاء أم البشر عليها السلام

كانت «حَوَّاء» عليها السلام أول النساء خَلْقاً، وأولهن زوجاً، وأولهن أُماً، خلقها الله تعالى من ضِلَع من أضلاع «آدم» عليه السلام ليسكُن إليها، وقد ذكر «أبو جعفر الطبري» في تاريخه، عن السدي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، عن مُرَّةَ الهَمْداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: فأُخرج «إبليس» من الجنة حين لُعِنَ، وأسكن «آدم» الجنة، فكان يمشي فيها وحشيًّا، ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومةً فاستيقظ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضِلَعِه، فسألها: ما أنت؟[1]. قالت: امرأة، قال: ولِمَ خُلِقْتِ؟ قالت: لتسكن إليَّ.

قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حَوَّاء، قالوا: لِمَ سُميت حَوَّاء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي، فقال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣٥] [2].

وذكر الطبري عن ابن إسحاق، قال: لما فرغ الله تعالى من معاتبة «إبليس» أقبل على «آدم» عليه السلام وقد علَّمه الأسماء كلها، فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ إلى ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣٣] . قال: ثم ألقى السِّنَة على «آدم» ـ فيما بلغنا عن أهل الكتاب، من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم ـ عن عبد الله بن عباس وغيره، ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه من شِقِّه الأيسر، وَلأَمَ مكانها لحماً، و«آدم» عليه السلام نائم لم يَهُبَّ من نومته، حتى خلق الله تعالى من ضِلَعِه تلك زوجه «حَوَّاء»، فسَوَّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كشف عنه السِّنَة وهَبَّ من نومته رآها إلى جنبه، فقال فيما يزعمون والله أعلم: لحمي ودمي وزوجتي،

---

(١) في التفسير: «من أنتِ؟».

(٢) تاريخ الطبري (١/١٠٣).

فسكن إليها، فلمَّا زوَّجه الله ﷻ، وجعل له سَكَناً من نفسه، قال له قُبُلاً[(١)]: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣٥][(٢)].

وذكر الطبري عن مجاهد في قوله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النِّساء، الآية: ١]، قال: «حَوَّاء» من قُصَيْرَيْ[(٣)] «آدم»، وهو نائم، فاستيقظ فقال: «أثا» بالنبطية، امرأة.

وتابع أبو جعفر الطبري القول: حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد مثله، حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النِّساء، الآية: ١] يعني «حَوَّاء»، خلقت من «آدم» من ضِلَع من أضلاعه[(٤)].

وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: وفي الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الأشجعي، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوج شيء في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبت تُقِيمُه كَسَرْتَه، وإن تركتَهُ لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» لفظ البخاري[(٥)].

وقال الطبري: فلما أسكن الله ﷻ «آدم» ﵇ وزوجه، أطلق لهما أن يأكلا كل ما شاء أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاءً منه لهما بذلك، وليمضي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما، كما قال ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣٥]، فوسوس لهما الشيطان حتى زيَّن لهما أكل ما نهاهما ربهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة، وحسَّن لهما معصية الله في ذلك، حتى أكلا منها، فبدت لهما من سوءاتهما ما كان مُوارًى عنهما منها.

---

(١) قُبُلاً: عياناً.
(٢) تاريخ الطبري (١/ ١٠٤).
(٣) القُصَيْرى: أسفل الأضلاع.
(٤) تاريخ الطبري (١/ ١٠٤، ١٠٥).
(٥) البداية والنهاية (١/ ٨٤).

فكان وصول عدو الله «إبليس» إلى تزيين ذلك لهما، ما ذكر في الخبر الذي حدثني موسى بن هارون الهَمْداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره ـ عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مُرَّة الهَمْداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ، قال: لما قال الله ﷻ لآدم: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة، الآية: ٣٥]، أراد «إبليس» أن يدخل عليهما الجنة، فمنعه الخزنة، فأتى الحيَّة، وهي دابة لها أربع قوائم، كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب، فكلَّمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى «آدم»، فأدخلته في فمها، فمرَّت الحية على الخزنة، فدخلت وهم لا يعلمون، لِمَا أراد الله ﷻ من الأمر، فكلمه من فمها، ولم يُبَال كلامه، فخرج إليه، فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه، الآية: ١٢٠]، يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملِكاً مثل الله تبارك وتعالى، أو تكونا من الخالدين، فلا تموتان أبداً؟. وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين، وإنما أراد بذلك أن يبدي لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سَوْءَةً لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن «آدم» يعلم ذلك، وكان لباسهما الظُّفر، فأبى «آدم» أن يأكل منها، فتصرَّفت «حَوَّاء» فأكلت، ثم قالت: يا آدم! كل، فإني قد أكلت، فلمَ يُضرَّني، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما، وطفقا يَخْصِفان ـ يلزقان ـ عليهما من ورق الجنة[1].

ثم استطرد ابن جرير يقول: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ليث بن أبي سُلَيْم، عن طاوس اليماني، عن ابن عباس، قال: إن عدو الله «إبليس» عرض نفسه على دواب الأرض: أيها تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلم «آدم» وزوجه، فكل الدواب أبى ذلك عليه، حتى كلَّم الحية، فقال لها: أمنعُك من بني آدم، فأنتِ في ذمتي إن أنتِ أدخلتني الجنة، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به، فكلمهما من فمها، وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها.

(١) تاريخ الطبري (١/١٠٦، ١٠٧).

قال: يقول ابن عباس: اقتلوها حيث وجدتموها، وأخْفِروا ذمة عدو الله فيها[١]. ثم أردف ابن جرير يقول: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر بن عبد الرحمٰن بن مُهْرِب، قال: سمعت وهْبَ بنُ مَنبِّه يقول: لما أسكن الله تعالى «آدم» وزوجته الجنة، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعِّب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله عنها «آدم» وزوجته، فلما أراد «إبليس» أن يستزلَّهما دخل في جوف الحية، وكان للحية أربع قوائم، كأنها بُخْتِيَّة من أحسن دابة خلقها الله تعالى، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها «إبليس»، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها «آدم» وزوجته، فجاء بها إلى «حَوَّاء»، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فأخذت «حَوَّاء» فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى «آدم» فقالت: انظر إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فأكل منها «آدم»، فبدت لهما سوءاتهما، فدخل «آدم» في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم! أين أنت؟ فقال: أنا هنا يا رب! قال: ألا تخرج؟ قال: أستحي منك يا رب! قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكاً!

قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسِّدْر، ثم قال: يا حَوَّاء! أنت التي غَرَرْتِ عبدي، فإنك لا تحملين حَمْلاً إلا حملتِه كُرْهاً، فإذا أردتِ أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً.

وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غرَّ عبدي، ملعونة أنتِ لعنة حتى تتحوَّل قوائمك في بطنك، ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيتِ أحداً منهم أخذتِ بعقبه، وحيث لقيك شَدَخَ رأسك.

قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء[٢].

---

(١) تاريخ الطبري (١/١٠٧).
(٢) تاريخ الطبري (١/١٠٨).

وعن القاسم بن الحسن قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس، قال: نهى الله تعالى «آدم» و«حَوَّاء» أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة، ويأكلا منها رغداً حيث شاءا، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية، فكلَّم «حَوَّاء» ووسوس إلى «آدم» فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف، الآيتان: ٢٠، ٢١] ، قال: فقطعت «حَوَّاء» الشجرة، فَدِميت الشجرة، وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف، الآية: ٢٢] ، لِمَ أكلتها وقد نهيتُك عنها؟ قال: يا رب! أطعمتني «حَوَّاء»، قال لحَوَّاء: لِمَ أطعمتِه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لِمَ أمرتِها؟ قالت: أمرني إبليس، قال: ملعون مدحور! أما أنت يا حَوَّاء! فكما أدميت الشجرة تَدْمَيْن في كل هلال، وأما أنت يا حية! فأقطع قوائمك فتمشين جَرْياً على وجهك، وسيشدخ رأسكِ من لقيك بالحَجَر، اهبطوا بعضكم لبعض عدو[1].

وقال الطبري، عن ابن إسحاق: قال: حدثت أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما، أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما، ثم أتاهما فوسوس إليهما، فقال: يا آدم! هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْك لا يَبْلَى؟ وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف، الآيتان: ٢٠، ٢١] أي تكونان ملكين أو تخلدان، أي: إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان، يقول الله عز وجل: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف، الآية: ٢٢] .

وعن يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ﴾ [الأعراف، الآية: ٢٠] وسوس الشيطان إلى «حَوَّاء» في الشجرة حتى أتى بها إليها، ثم حَسَّنها في عين «آدم».

(١) تاريخ الطبري (١/١٠٩).

قال: فدعاها «آدم» إلى حاجته، قالت: لا، إلا أن تأتي هٰهُنا، فلما أتى قالت: لا، إلَّا أن تأكل من هذه الشجرة، قال: فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما، قال: وذهب «آدم» هارباً في الجنة، فناداه ربه: يا آدم! أمِنِّي تَفِرُّ؟ قال: لا، يا رب! ولكن حياء منك.

قال: يا آدم! أنَّى أُتِيتَ؟ قال: من قبل «حَوَّاء» يا رب! فقال الله ﷻ: فإنَّ لها عليَّ أن أدميها في كل شهر مرة، كما أدمت هذه الشجرة، وأن أجعلها سفيهة، وقد كنت خلقتها حليمة، وأن أجعلها تحمل كُرْهاً وتضع كُرْهاً، وقد كنتُ جعلتها تحمل يَسَراً وتضع يَسَراً.

قال ابن زيد: ولولا البَلِيَّة التي أصابت «حَوَّاء» لكان نساء أهل الدنيا لا يَحِضْن، وَلَكُنَّ حليمات، ولَكُنَّ يحملن يَسَراً، ويضعن يَسَراً[1].

وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣٥] فقيل: هي الكرم، وروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والشعبي، وجعدة بن هبيرة، ومحمد بن قيس، والسُّدِّي في رواية عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من الصحابة، قال: وتزعم يهود أنها الحنطة، وهذا مروي عن ابن عباس، والحسن البصري، ووهب بن مُنبِّه، وعطية العوفي، وأبي مالك، ومُحَارب بن دِثَار، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى، قال وهب: والحبة منه ألين من الزبد، وأحلى من العسل.

وقال الثوري، عن أبي حصين، عن أبي مالك: ولا تقربا هذه الشجرة، هي النخلة، وقال ابن جريج عن مجاهد: هي التينة، وبه قال قتادة، وابن جريج، وقال أبو العالية: كانت شجرة من أكل منها أحدث، ولا ينبغي في الجنة حَدَث! وهذا الخلاف قريب، وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها، ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعَيّنها لنا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القرآن، وإنما الخلاف الذي ذكروه في أن هذه الجنة التي دخلها «آدم»، هل هي في السماء أو في الأرض؟ هو الخلاف الذي ينبغي فصله والخروج منه، والجمهور على أنها هي التي في السماء، وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث، كقوله تعالى:

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ١١٠، ١١١).

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة، الآية: ٣٥] ، والألف واللام ليست للعموم، ولا لمعهود لفظي، وإنما تعود على معهود ذهني، وهو المستقر شرعاً من جنة المأوى، وكقول «موسى» عليه السلام لآدم عليه السلام: علام أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق، عن أبي حازم سلمة بن دينار، عن أبي هريرة، وأبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الناس، فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة، فيأتون «آدم» فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟**» وذكر الحديث بطوله، وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى، وليست تخلو عن نظر.

وقال آخرون: بل الجنة التي أسكنها «آدم» لم تكن جنة الخلد، لأنه كُلِّف فيها ألَّا يأكل من تلك الشجرة، ولأنه نام فيها، وأخرج منها، ودخل عليه «إبليس» فيها، وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى[1].

وقال القاضي «الماوردي» في تفسيره: واختلف في الجنة التي أسكناها يعني «آدم» و«حَوَّاء» على قولين: أحدهما: أنها جنة الخلد، الثاني: جنة أعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء، وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا على قولين: أحدهما: أنها في السماء، لأنه أهبطهما منها، وهذا قول «الحسن»، والثاني: أنها في الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهكذا قول ابن يحيى، والله أعلم بالصواب من ذلك.

هذا كلامه ـ أي: الماوردي ـ، فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة، وأشعر كلامُه أنه متوقف في المسألة.

ولقد حكى «أبو عبد الله الرازي» في تفسيره، في هذه المسألة أربعة أقوال، وهذه الثلاثة التي أوردها «الماوردي»، ورابعها: الوقف، وحكى القول بأنها في السماء، وليست جنة المأوى، عن «أبي علي الجبائي». وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالاً يحتاج مثله إلى جواب، فقالوا: لا شك أن الله ﷻ طرد «إبليس»

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٨٤).

حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلٰهية، وأمره بالخروج عنها، والهبوط منها، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته، وإنما هو أمر قدري لا يخالف ولا يمانع، ولهذا قال: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف، الآية: ١٨]، وقال: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف، الآية: ١٣]، وقال: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر، الآية: ٣٤]، الضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة، وأيًّا ما كان فمعلوم أنه ليس الكون قدراً في المكان الذي طرد عنه، وأبعد منه، لا على سبيل الاستقرار، ولا على سبيل المرور والاجتياز.

قالوا: ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه، الآية: ١٢٠]، وبقوله: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢]، وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما، وقد أجيبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها، لا على سبيل الاستقرار بها، أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء، وفي الثلاثة نظر، والله أعلم.

ومما احتجَّ به أصحاب هذه المقالة ما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «الزيادات»، عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن البصري، عن يحيى بن ضمرة السعدي، عن أُبي بن كعب، قال: إن «آدم» لما احتُضِر اشتهى قِطْفاً من عنب الجنة، فانطلق بنوه ليطلبوه له، فلقيتهم الملائكة، فقالوا: أين تريدون يا بني آدم؟ فقالوا: إن أبانا اشتهى قِطفًا من عنب الجنة، فقالوا لهم: فقد كفيتموه، فانتهوا إليه، فقبضوا روحه، وغَسَّلوه، وحَنَّطوه، وكَفَّنوه، وصلى عليه «جبريل»، ومن خلفه الملائكة، ودفنوه، وقالوا: هذه سُنَّتكم في موتاكم، قالوا: فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التي كان فيها «آدم» والتي اشتهى منها القِطْف ممكناً لما ذهبوا يطلبون ذلك، فدل على أنها في الأرض لا في السماء، والله تعالى أعلم[1].

(١) البداية والنهاية (١/ ٨٥، ٨٦).

وقد روى ابن جرير في تاريخه، عن السدي ـ في خبر ذكره ـ عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة الهمْداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣٦] ، فلعن الحية فقطع قوائمها، وتركها تمشي على بطنها، وجعل رزقها من التراب، وأهبط إلى الأرض «آدم» و«حَوَّاء» وإبليس والحية[١].

وقد وردت الأخبار، في كتب السير أن الله تعالى، خلق «آدم» عليه السلام يوم الجمعة، وأخرج من الجنة يوم الجمعة، وأمره بالهبوط منها يوم الجمعة، وتاب عليه يوم الجمعة، وتوفَّاه يوم الجمعة، لذا كان يوم الجمعة أفضل الأيام، ومن التمس أن يصنع معروفاً، أو أراد أن يقوم بفعل خير فليبادر به يوم الجمعة، وقد أُثِرَت عن النبي ﷺ أحاديث عدة في فضل اليوم المذكور، منها: عن سعد بن عبادة، عن رسول الله ﷺ، قال: «**إن في الجمعة خمس خلال: فيه خُلِقَ «آدم»، وفيه أُهْبِط إلى الأرض، وفيه توفَّى الله «آدم»، وفيه ساعة لا يسأل العبدُ فيها ربَّه شيئاً، إلَّا أعطاه الله إياه، ما لم يسأل إثماً أو قطيعة، وفيه: تقوم الساعة، وما من مَلَك مُقَرَّب، ولا سماء ولا جبل ولا أرض ولا ريح، إلَّا مُشْفِقٌ من يوم الجمعة**».

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر، أن النبي ﷺ قال: «**سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر؛ وفيه خمس خلال: خلق الله تعالى فيه «آدم»، وأهبطه فيه إلى الأرض، وفيه توفَّى الله تعالى «آدم»، وفيه ساعة لا يسأل الله العبدُ شيئاً إلَّا أعطاه إياه ما لم يكن حراماً، وفيه تقوم الساعة؛ ما من مَلَكٍ مُقَرَّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلَّا وهو مُشْفِقٌ من يوم الجمعة، أن تقوم فيه الساعة**» [٢].

وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلِقَ «آدم»، وفيه أُسْكِنَ الجنة، وفيه أُهْبِط، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة** ـ يُقَلِّلها ـ وفي رواية ابن كثير: وقبض أصابعه

(١) تاريخ الطبري (١/ ١١٢).
(٢) تاريخ الطبري (١/ ١١٣).

يقَلِّلها ـ **لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً، إلَّا آتاه الله إياه**، فقال عبد الله بن سلام: قد علمتُ أيَّ ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله ﷻ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبيَاء، الآية: ٣٧]. (١)

وعن محمد بن سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، ، قال: أخبرني أبي، أبي صالح، عن ابن عباس، قال: خرج «آدم» من الجنة بين الصلاتين: صلاة الظهر وصلاة العصر، فأنزل إلى الأرض، وكان مكثه في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة وهو خمسمائة سنة، من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة، واليوم ألف سنة مما يَعُدُّ أهل الدنيا، وهذا أيضاً خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن السلف من علمائنا (٢).

وأخرج ابن كثير في البداية والنهاية: وروى الحافظ ابن عساكر، عن مجاهد، قال: أمر الله مَلَكَين أن يخرجا «آدم» و«حَوَّاء» من جواره، فنزع «جبريل» التاج عن رأسه، وحَلَّ «ميكائيل» الإكليل عن جبينه، وتعلق به غصن، فظن «آدم» أنه قد عوجل بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: العفو العفو، فقال الله: فراراً مني؟ قال: بل حياءً منك، يا سيدي!

وقال الأوزاعي، عن حسان ـ هو ابن عطية ـ: مكث «آدم» في الجنة مائة عام، وفي رواية: ستين عاماً، وبكى على الجنة سبعين عاماً، وعلى خطيئته سبعين عاماً، وعلى ولده حين قتل أربعين عاماً. رواه ابن عساكر (٣).

وأمر الله بآدم وحَوَّاء عليهما السلام، فأهبطا من الجنة بعد الخطيئة، قبل غروب شمس يوم الجمعة الذي خلقه فيه، وقد وردت أحاديث عدة في مكان نزولهما، منها:

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إن أول ما أهبط الله تعالى «آدم» أهبطه بدَهْنَا أرض الهند.

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ١١٧).
(٢) تاريخ الطبري (١/ ١٢٠).
(٣) البداية والنهاية (١/ ٩٠).

وعن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أطيب أرض في الأرض ريحاً أرض الهند، أهبط بها «آدم»، فعلق شجرها من ريح الجنة [١].

وروى ابن جرير الطبري: حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: أهبط «آدم» بالهند، و«حَوَّاء» بجُدَّة، فجاء في طلبها حتى اجتمعا، فازدلفت إليه «حَوَّاء»، فلذلك سميت «المزدلفة»، وتعارفا بِـ «عرفات»، فلذلك سميت «عرفات» واجتمعا بِـ «جَمْع»، فلذلك سميت «جمعاً»، قال: وأهبط «آدم» على جبل بالهند يقال له: «بَوْذ».

أما ابن إسحاق فقد قال: وأما أهل التوراة فإنهم قالوا: أُهْبِط «آدم» بالهند، على جبل يقال له: «واسم» عند وادٍ يقال له: «بهيل» بين الدَّهْنَج والمَنْدَل: بلدين بأرض الهند، قالوا: وأُهْبِطَت «حَوَّاء» «بِجُدَّة» من أرض مكة.

وقال آخرون: بل أُهْبِط «آدم» بسَرَنْديب على جبل يدعى «بَوْذَ»، و«حَوَّاء» بجُدَّة من أرض مكة، و«إبليس» بِمَيْسَان، والحية بأصبهان، وقد قيل: أُهْبِطت الحية بالبرية، و«إبليس» بساحل بحر الأُبُلَّة.

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلَّا بخبر يجيء مجيء الحجة، ولا يعلم خَبَرٌ في ذلك ورد كذلك، غير ما ورد من خبر هبوط «آدم» بأرض الهند، فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء.

ولما ندم «آدم» عليه السلام على خطيئته، وبكى بحرقة مدة سبعين سنة، باء إلى ربه بالتوبة، وناشده المغفرة.

قال أبو جعفر الطبري: فذكر أن «آدم» عليه السلام بكى واشتد بكاؤه على خطيئته، وندم عليها، وسأل الله عز وجل قبول توبته، وغفران خطيئته، فقال في مسألته إياه: ما سأل من ذلك، كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن عطية، عن قيس، عن

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ١٢١).

ابن ليلى، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣٧] قال: أيْ ربِّ! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أيْ ربِّ! ألم تنفخ فيَّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أيْ ربِّ! ألم تُسْكِنِّي جنتك؟ قال: بلى، قال: أيْ ربِّ! ألم تسبقْ رحمتُك غضبَك؟ قال: بلى، قال: أرأيت إن تبتُ وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البَقَرَة، الآية: ٣٧] (١).

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية: عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الكلمات: اللهم! لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم! لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربِّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين، اللهم! لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربِّ إني ظلمت نفسي فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم(٢).

وذكر ابن كثير ما رواه الحاكم، والبيهقي، وابن عساكر من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما اقترف «آدم» الخطيئة، قال: يا رب! أسألك بحق «محمد» أن غفرت لي، فقال الله: فكيف عرفت «محمداً» ولم أخلقه بعد؟ فقال: يا رب! لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلَّا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم! إنه لأحب الخلق إليَّ، وإذ سألتني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا «محمد» ما خلقتك»**.

قال البيهقي: تفرّد به عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه، وهو ضعيف والله أعلم(٣).

وقد حاجَّ «موسى» آدم عليه السلام، فغَلَب «آدم» بحجته، وقد روى أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: حاجَّ «موسى» آدم عليه السلام، فقال له: أنت

(١) تاريخ الطبري (١/ ١٣٢).
(٢) البداية والنهاية (١/ ٩١).
(٣) البداية والنهاية (١/ ٩٢).

الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم؟ قال آدم: يا موسى! أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر قد كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني، أو قدَّره عليَّ قبل أن يخلقني، قال رسول الله ﷺ: فَحجَّ «آدم» موسى، رواه مسلم والنسائي[١].

وجاء في حديث أبي هريرة المتفق على صحته، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله خلق «آدم» وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن»**، وهذا يقتضي أنه خلق كذلك لا أطول من ستين ذراعاً، وأن ذريته لم يزالوا يتناقص خلقهم حتى الآن[٢].

وأخرج الطبري عن ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٢]، قال: أخرج الله «آدم» من الجنة، ولم يهبطه من السماء، ثم إنه مسح من «آدم» صفحة ظهره اليمنى، فأخرج منه ذرية كهيئة الذر بيضاً، مثل اللؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيئة الذر سوداً، فقال: ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، ثم أخذ الميثاق، فقال: ألست بربكم؟ قالوا بلى، فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة على وجه التقية[٣].

وكان أهم حدث نَكَّد على «آدم» و«حَوَّاء» حياتهما بعد أن أُهْبِطا إلى الأرض، ذلك الخلاف الذي شَجَرَ بين ابنيهما «قابيل و«هابيل» والنهاية المحزنة التي انتهى إليها، وقد ذكر العلامة «الآلوسي» في تفسيره الفخيم الموسوم بـ «روح المعاني» قصة ابني «آدم» عليه السلام خلال تفسير الآيات المتعلقة بها، فقال: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۗ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ

(١) البداية والنهاية (١/ ٩٢).
(٢) البداية والنهاية (١/ ١٠٣).
(٣) تاريخ الطبري (١/ ١٣٦).

فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة، الآيات: ٢٧-٣١] ، وكان من قصتهما ما أخرجه ابن جرير، عن ابن مسعود، وناس من الصحابة ﷺ أنه كان لا يولد لآدم عليه السلام مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، جعل افتراق البطون بمنزلة افتراق الجنس للضرورة إذ ذاك حتى ولد له ابنان يقال لهما: «هابيل» و«قابيل». وكان «قابيل» صاحب زَرْع، و«هابيل» صاحب ضَرْع، وكان «قابيل» أكبرهما، وكانت له أخت اسمها «إقليما» أحسن من أخت «هابيل»، وأن «هابيل» طلب أن ينكح أخت «قابيل» فأبى عليه، وقال: هي أختي، ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوج بها، فأمره أبوه أن يزوجها «هابيل» فأبى، فقال لهما: قَرِّبا قرباناً فمن أيكما قُبِلَ تزوجها، وإنما أمر بذلك لعلمه أنه لا يقبل من «قابيل» لأنه لو قبل جاز، ثم غاب عليه السلام عنهما آتياً مكة ينظر إليها، فقال «آدم» للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال للأرض، فأبت، وقال للجبال، فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرُّك، فلما انطلق «آدم» عليه السلام قرَّبا قرباناً؛ فقرَّب «هابيل» جَذَعة، وقيل: كبشاً، وقرَّب «قابيل» حزمة سنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة، ففركها وأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان «هابيل»، وكان ذلك علامة القبول، وكان أكل القربان غير جائز في الشرع القديم، وتركت قربان «قابيل» فغضب، وقال: لأقتلنك، فأجابه بما قص الله تعالى[1].

بَيْدَ أنَّ «قابيل» خاسَ بعهد أبيه، «آدم» عليه السلام وخَفَرَ بوعده له، ولم يرقب في أخيه إلًّا ولا ذِمَّة. وعلى الرغم من أن «هابيل» كان أقوى بنية من أخيه «قابيل» وأشدَّ بأساً، إلَّا أنه تحرَّج عن قتله واستسلم له خوفاً من الله تعالى، ولأن الدفاع عن النفس لم يكن جائزاً في الشريعة التي كانت تحكمهم في ذلك الزمان، وقد أخرج ابن المنذر عن ابن جريج، في رواية عن مجاهد، قال: كانت بنو إسرائيل

(١) تفسير روح المعاني للآلوسي (٥/ ١١١).

قد كتب عليهم، إذا الرجل بسط يده إلى الرجل، لا يمتنع منه حتى يقتله أو يدعه، أو تَحرِّياً لما هو الأفضل الأكثر ثواباً، وهو كونه مقتولاً لا قاتلاً بالدفع عن نفسه بناءً على جوازه إذ ذاك.

وقال بعض المحققين: واختلف في هذا ـ الآن ـ على ما بَسَطَه الإمام «الجَصَّاص»، فالصحيح من المذهب أنه يلزم الرجل دفع الفساد عن نفسه وغيره، وإن أدى إلى القتل. ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: إن المعنى في الآية: ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ على سبيل الظلم والابتداء ﴿لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾ [المَائدة، الآية: ٢٨] على وجه الظلم والابتداء، وتكون الآية على ما قاله مجاهد وابن جريج منسوخة، وهل نسخت قبل شريعتنا أم لا؟ فيه كلام، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾ [الحُجرَات، الآية: ٩] وغيره من الآيات والأحاديث.

وقيل: إنه لا يلزم ذلك بل يجوز، واستدل بما أخرجه ابن سعد في «الطبقات» عن «خَبَّاب بن الأرَتِّ» عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر «فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركت ذلك، فكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»، وأوَّلوه بترك القتال في الفتنة واجتنابها، وأول الحديث يدل عليه.

وأما من منع ذلك الآن مستدلاً بحديث «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»، فقد رُدَّ بأن المراد به أن يكون كل منهما عَزَم على قتل أخيه، وإن لم يقاتله، وتقابلا بهذا القصد، انتهى بزيادة.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المَائدة، الآية: ٢٨] تعليل عن الامتناع عن بسط يده ليقتله، وفيه إرشاد «قابيل» إلى خشية الله تعالى على أتم وجه، وتعريض بأن القاتل لا يخاف الله تعالى، وقوله ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ [المَائدة، الآية: ٢٩] تعليل آخر لامتناعه عن البسط، ولما كان كل منهما علة مستقلة لم يعطف أحدهما على الآخر إيذاناً بالاستقلال، ودفعاً لتوهم أن يكون جزءَ علة لا علة تامَّة. وأصل البَوْء اللزوم، وفي «النهاية»[1]: أبوء بنعمتك عليَّ

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

وأبوء بذنبي: أي: ألتزم وأرجع وأُقِرُّ، والمعنى: إني أريد باستسلامي وامتناعي عن التعرض لك أن ترجع بإثمي، أي: تتحمله لو بسطتُ يدي إليك حيث كنتَ السبب له، وأنت الذي علمتني الضرب والقتل، وإثمك حيث بسطتَ إليَّ يدك، وهذا نظير ما أخرجه مسلم، عن أبي هريرة مرفوعاً «**المُسْتَبَّان ما قالا فعلى البادىء ما لم يَعْتَدِ المظلوم**» أي على البادىء إثم سبه، ومثل إثم سب صاحبه لأنه كان سبباً فيه، إلَّا أنَّ الإثم محطوطٌ عن صاحبه معفوٌّ عنه لأنه مكافىء دافع عن عرضه، ألا ترى إلى قوله: «**ما لم يَعْتَدِ المظلوم**»، لأنه إذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم، كذا في «الكشاف».

قيل: وفيه نظر، لأن حاصل ما قرَّره أن على البادىء إثمه ومثل إثم صاحبه، إلَّا أن يتعدَّى الصاحب فلا يكون هذا المجموع على البادىء، ولا دلالة فيه على أن المظلوم إذا لم يَتَعَدَّ كان إثمه المخصوص بسببه ساقطاً عنه، اللهم إلَّا بضميمة تنضم إليه، وليس في اللفظ ما يشعر بها. وردَّه في الكشف بأنه كيف لا يدل على سقوطه عنه، وقوله عليه الصلاة والسلام «فعلى البادىء» مخصص ظاهر، وقول «الكشاف»: «إلَّا أن الإثم محطوط» تفسير لقوله: «فعلى البادىء» وقوله: «فعليه إثم سبه، ومثل إثم سب صاحبه» تفسير لقوله: «ما قالا» فكما يدل على أن عليه إثماً مضاعفاً يدل على أن إثم صاحبه ساقط، هذا ثم قال: ولعل الأظهر في الحديث ألَّا يضمر المثل، والمعنى: إثم سبابهما على البادىء، وكان ذلك لئلا يلتزم الجمع بين الحقيقة والمجاز[1].

ولما استقر في خَلَد «قابيل» أن يقتل أخاه، لم يدر كيف ينفذ القتل، فتمثَّل له «إبليس» اللعين في هيئة طير، فأخذ طيراً فوضع رأسه بين حجرين، فشدَخَه، فعلّمه القتل، فقتله كذلك وهو مستسلم، وأخرج عن ابن مسعود، وناس من الصحابة ﷺ أن «قابيل» طلب أخاه ليقتله فراغ منه في رءوس الجبال، فأتاه يوماً من الأيام، وهو يرعى غنماً له، وهو نائم، فرفع صخرة، فشدخ بها رأسه، فمات، فتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن، إلى أن بعث الله تعالى الغراب، وكان لهابيل لما قتل عشرون سنة، واختلف في موضع قتله، فعن عمرو الشعباني، عن

(١) انظر روح المعاني (٥/ ١١٢، ١١٣).

كعب الأحبار: أنه قتل على جبل دير المران. وفي رواية عنه: أنه قتل على جبل قاسيون، وقيل: عند عقبة حراء، وقيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم.

وأخرج نعيم بن حماد، عن عبد الرحمٰن بن فضالة: أنه لما قَتَلَ «قابيلُ»، «هابيلَ»، مسخ الله تعالى عقله، وخلع فؤاده، فلم يزل تائهاً حتى مات، وروي أنه لما قتله اسودَّ جسدُه وكان أبيض، فسأله «آدم» عن أخيه، فقال: ما كنتُ عليه وكيلاً، قال: بل قتلتَهُ ولذلك اسودَّ جسدُك.

وأخرج ابن عساكر، وابن جرير، عن سالم بن أبي الجعد، قال: إن «آدم» عليه السلام لما قَتَل أحدُ ابنيه الآخر، مكث مائة عام لا يضحك حزناً عليه، فأتى على رأس المائة، فقيل له: حَيَّاك الله تعالى وبيَّاك، وبُشِّر بغلام، فعند ذلك ضحك، وذكر «محيي السنة» أنه عليه السلام ولد له بعد قتل ولده بخمين سنة «شِيث» عليه السلام، وتفسيره ـ هبة الله ـ يعني أنه خلف من «هابيل»، وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار، وعبادة الخلق من كل ساعة منها، وأنزل عليه خمين صحيفة، وصار وصيَّ «آدم» ووليَّ عهده.

وأخرج ابن جرير عن عليٍّ ـ كرم الله وجهه ـ قال: لما قَتَلَ ابنُ «آدم» عليه السلام أخاه بكى «آدم» عليه السلام، ورثاه بشعر، وأخرج نحو ذلك الخطيب وابن عساكر، عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مشهور[1].

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: وذكر أهل التواريخ والسير، أن «آدم» حزن على ابنه «هابيل» حزناً شديداً، وأنه قال في ذلك شعراً، وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد، ونظراً للخطأ الواقع في الأبيات التي رواها ابن كثير، فقد رجعت إلى تاريخ ابن جرير الذي نقل عنه الشعر، يقول ابن جرير الطبري: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي إسحاق الهَمْداني، قال: قال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: لما قُتِلَ ابنُ «آدم» بكاه «آدم» فقال:

تَـغَـيَّـرتِ الـبـلادُ ومـن عـلـيـهـا ... فـوجـه الأرض مُـغْـبَـرٌّ قـبـيـحُ

(١) «روح المعاني» (٥/ ١١٤، ١١٥).

تَـغَـيَّـرَ كـلُّ ذي طـعـمٍ ولـونٍ وقَـلَّ بـشـاشـة الـوجـه الـمـلـيـحِ[١]

قال: فأجيب «آدم» عليه السلام:

أبـا هـابـيـلَ قـد قُـتِـلاَ جـمـيـعـاً وصـار الـحـيُّ كـالـمـيـت الـذبـيـحِ[١]
وجـاء بِـشِـرَّةٍ قـد كـان مـنـهـا عـلـى خـوفٍ فـجـاء بـهـا يـصـيـحُ[٢]

وقال ابن كثير: وهذا الشعر فيه نظر، وقد يكون «آدم» عليه السلام قال كلاماً يَتحزَّن به بلغته، فألفه بعضهم إلى هذا، وفيه أقوال والله أعلم.

وقد ذكر مجاهد أن «قابيل» عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه، فعلقت ساقه إلى فخذه، وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت تنكيلاً به، وتعجيلاً لذنبه وبَغْيه، وحسده لأخيه لأبويه، وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**».

وأخرج «الآلوسي» في تفسيره، عن ميمون بن مهران، عن الحَبْر رضي الله عنه أنه قال: من قال: إن «آدم» عليه السلام قال شعراً فقد كذب، «إنَّ «محمداً» صلى الله عليه وسلم، والأنبياء كلهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في النهي عن الشعر سواء، ولكن لما قَتَلَ «قابيلُ»، «هابيلَ» رثاه «آدم» بالسرياني، فلم يزل ينقل حتى وصل إلى «يعرب بن قحطان»، وكان يتكلم بالعربية والسريانية، فنظر فيه فقدم وأخَّر، وجعله شعراً عربياً، وذكر بعض علماء العربية أن في ذلك الشعر لحناً أو إقواءً، أو ارتكاب ضرورة، والأولى عدم نسبته إلى «يعرب» أيضاً لما فيه من الركاكة الظاهرة[٣].

وقضي الأمر الذي وطَّن «قابيل» نفسه عليه، من قتل أخيه، غير أنه وجد نفسه تُجَاه ورطة لا يعرف كيف يتخلص منها، بعد أن أصبح من الخاسرين، دنيا وآخرة، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تقتل نفس ظلماً إلَّا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها، لأنه أول من سَنَّ القتل**».

---

(١) في هذين البيتين إقواء.
(٢) تاريخ الطبري (١/ ١٤٥).
(٣) روح المعاني (٥/ ١١٥).

وأخرج ابن جرير والبيهقي في «شعب الإيمان». وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة، العذاب عليه شطر عذابهم»، وورد أنه أحد الأشقياء الثلاثة، وهذا ونحوه صريح في أن الرجل مات كافراً.

وأصرح من ذلك ما روي أنه لما قتل أخاه، هرب إلى «عدن» من أرض اليمن، فأتاه «إبليس» عليه اللعنة، فقال: إنما أكلت النار قربانَ «هابيلَ» لأنه كان يخدمها ويعبدها، فإن عبدتها أيضاً حصل مقصودك، فبنى بيت نار فعبدها، فهو أول من عبد النار، والظاهر أن عليه أيضاً وِزْرَ من يعبد النار، بل لا يبعد أن يكون عليه وِزرُ من يعبد غير الله تعالى إلى يوم القيامة، واستدلَّ بعضهم بقوله سبحانه: ﴿فَأَصْبَحَ﴾ [المائدة، الآية: ٣٠] على أن القتل وقع ليلاً ـ وليس بشيء ـ، فإن من عادة العرب أن يقولوا: أصبح فلان خاسر الصفقة إذا فعل أمراً ثمرته الخسران، ويعنون بذلك الحصول مع قطع النظر عن وقت دون وقت، وإنما لم يقل سبحانه ـ فأصبح خاسراً ـ للمبالغة، وإن لم يكن حينئذ خاسر سواه.

وقضت إرادة الله أن يكرم الموتى بدفنهم وعدم تركهم في العراء، عرضة للتفسخ بفعل حرارة الشمس وغيرها من عوامل الطبيعة، أو العبث بها من قبل الوحوش والتقوُّت بها، فأرسل جل شأنه إلى «قابيل» غراباً ليعلمه كيف يدفن أخاه.

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن عطية، قال: لما قتله ندم، فضمَّه إليه حتى أرْوَحَ[1] وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، وكره أن يأتي به «آدم» عليه السلام فيحزنه، وتحيَّر في أمره، إذ كان أول ميت من بني «آدم» عليه السلام، فبعث الله تعالى غرابين قتل أحدهما الآخر، وهو ينظر إليه، ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكَّن له، ثم دفعه برأسه حتى ألقاه في الحفرة، ثم بحث عليه برجله حتى واراه، وقيل: إن أحد الغرابين كان ميتاً.

وذهب أكثر العلماء إلى أن الباحث ـ أي: الذي حفر الحفرة في الأرض ـ وارى جثته، وتعلَّم «قابيل»، ففعل مثل ذلك بأخيه، وروي ذلك عن ابن

(١) أرْوَحَ: أنتن.

عباس ﷺ، وابن مسعود، وغيرهما، وذهب الأصَمُّ إلى أن الله تعالى بعث من بعثه فبحث في الأرض، ووارى «هابيل».

فلما رأى «قابيل» ما أكرم الله تعالى به أخاه ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ [المَائدة، الآية: ٣١] كلمة جزع وتحَسُّر، والويلة كالويل: الهلكة كأن المتحسر ينادي هلاكه وموته ويطلب حضوره بعد تنزيله منزلة من ينادي، ولا يكون طلب الموت إلَّا ممن كان في حال أشدَّ منه، والألف بدلاً من ياء المتكلم، أي ـ يا ويلتي ـ ، وبذلك قرأ «الحسن»: احضري فهذا أوانك، ﴿أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المَائدة، الآية: ٣١] أي: صار معدوداً من عدادهم، وكان ندمه على قتله لما كابَدَ فيه من التحيُّر في أمره، وحمله على رقبته أربعين يوماً، أو سنة، أو أكثر على ما قيل، وتلمذة الغراب فإنها إهانة، ولذا لم يُلْهَمْ من أول الأمر ما أُلْهِمَ، واسوداد وجهه، وتبرُّىء أبويه منه[1].

وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: والذي رأيته في الكتاب الذي بأيدي أهل الكتاب الذين يزعمون أنه التوراة أن الله ﷻ أجَّله وأَنْظَره، وأنه سكن في أرض «نود» في شرقي «عدن»، وهم يسمونه «قنين»، وأنه ولد له «خنوخ»، ولخنوخ «عندر»، ولعندر «محوايل»، ولمحوايل «متوشيل»، ولمتوشيل «لامك»، وتزوج هذا امرأتين: «عَدَا» و«صَلاَ»، فولدت «عَدَا» ولداً اسمه «إبل»، وهو أول من سكن القباب واقتنى المال، وولدت أيضاً «نوبل» وهو أول من أخذ في ضرب الونج والصنج، وولدت «صَلاَ» ولداً اسمه «توبلقين» وهو أول من صَنَّع النحاس والحديد، وبنتاً اسمها «نعمى».

وفيها أيضاً أن «آدم» طاف على امرأته فولدت غلاماً ودعت اسمه «شيت» وقالت: من أجل أنه قد وهب لي خلفاً من «هابيل» الذي قتله «قابيل»، وولد لشيت «أنوش»، قالوا: وكان عمر «آدم» يوم ولد له «شيت» مائة وثلاثين سنة، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة، وكان عمر «شيت» يوم ولد له «أنوش» مائة وخمساً وستين، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وسبع سنين، وولد له بنون وبنات غير «أنوش» فولد لأنوش «قينان» وله من العمر تسعون سنة، وعاش بعد ذلك ثمانمائة

---

(١) روح المعاني (١/ ١١٥، ١١٧).

سنة وخمس عشرة سنة، وولد له بنون وبنات، فلما كان عمر «قينان» سبعين سنة ولد له «مهلاييل» وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وأربعين سنة، وولد له بنون وبنات، فلما كان لمهلاييل من العمر خمس وستون سنة ولد له «يرد»، وعاش بعد ذلك ثمانمائة وثلاثين سنة، وولد له بنون وبنات، فلما كان ليرد مائة سنة واثنتان وستون سنة ولد له «خنوخ»، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات، فلما كان لخنوخ خمس وستون سنة ولد له «مَتُوشلخ»، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات، فلما كان لمَتُوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة ولد له «لامك»، وعاش بعد ذلك سبعمائة واثنتين وثمانين سنة، وولد له بنون وبنات، فلما كان للامك من العمر مائة واثنتان وثمانون سنة ولد له «نوح»، وعاش بعد ذلك خمسمائة وخمساً وتسعين سنة، وولد له بنون وبنات، فلما كان لنوح خمسمائة سنة، ولد له بنون «سام» و«حام» و«يافث»، هذا مضمون ما في كتابهم صريحاً.

وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر، كما ذكره غير واحد من العلماء، طاعنين عليهم في ذلك، والظاهر أنها مقحمة فيها، ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير، وفيها غلط كثير[1].

وذكر ابن جرير في تاريخه: أن «حَوَّاء» ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن، أولهم «قابيل» وتوأمته «قليما»، وآخرهم «عبد المغيث» وتوأمته «أمة المغيث»، وأما ابن إسحاق فذُكِرَ عنه، أن جميع ما ولدته «حَوَّاء» لصلبه أربعون من ذكر وأنثى، في عشرين بطناً، وقال: قد بلغنا أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض.

وتابع ابن جرير القول: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فكان من بلغنا اسمه خمسة عشر رجلاً وأربع نسوة، منهم «قين» وتوأمته، و«هابيل» و«ليوذا»، و«أشوت بنت آدم» وتوأمها، و«شيت» وتوأمته، و«خرورة» وتوأمها، على ثلاثين ومائة سنة من عمره، ثم «أياد بن آدم» وتوأمته، ثم «بالغ بن آدم» وتوأمته، ثم «أثاثى بن آدم» وتوأمته، ثم «توبة بن آدم» وتوأمته، ثم «بنان بن آدم» وتوأمته، ثم «شبوبة بن آدم» وتوأمته، ثم «حيان بن آدم»

(١) البداية والنهاية (١/١٠٧).

وتوأمته، ثم «ضرابيس بن آدم» وتوأمته، ثم «هذر بن آدم» وتوأمته، ثم «يحود بن آدم» وتوأمته، ثم «سندل بن آدم» وتوأمته، ثم «بارق بن آدم» وتوأمته، كل رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يُحْمَلُ به فيه.

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن «جيُومَرْت» هو «آدم»، وزعم بعضهم أنه ابن «آدم» لِصُلْبِهِ من «حَوَّاء».

وقال فيه غيرهم أقوالاً كثيرة[١].

وأخرج الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: وقد ذكر أهل التاريخ: أن «آدم» عليه السلام لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربعمائة ألف نسمة، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف، الآيتان: ١٨٩، ١٩٠] .

فهذا تنبيه أولاً بذكر «آدم»، ثم استطرد إلى الجنس، وليس المراد بهذا ذكر «آدم» و«حَوَّاء» بل لما جرى ذكر الشخص استطرد إلى الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون، الآيتان: ١٢، ١٣] ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك، الآية: ٥] ، ومعلوم أن رجوم الشياطين ليست هي أعيان مصابيح السماء، وإنما استطرد من شخصها إلى جنسها[٢].

ثم أردف ابن كثير: فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد، حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة عن الحسن، عن سَمُرَة، عن النبي ﷺ، قال: **«لما ولدت «حَوَّاء» طاف بها «إبليس» وكان لا يعيش لها ولد،**

(١) تاريخ الطبري (١/ ١٤٥، ١٤٦).
(٢) البداية والنهاية (١/ ١٠٧، ١٠٨).

فقال: سميه «عبد الحارث» فإنه يعيش، فَسَمَّته «عبد الحارث»، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».

وهكذا رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفاسيرهم عند هذه الآية، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلَّا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم، عن عبد الصمد، ولم يرفعه، فهذه علة قادحة في الحديث أنه روي موقوفاً على الصحابي، وهذا أشبه، والظاهر أنه تلقاه من الإسرائيليات، وهكذا روي موقوفاً على ابن عباس، والظاهر أن هذا متلقى عن كعب الأحبار ودوَّنه، والله أعلم.

وقد فَسَّر الحسن البصري هذه الآيات بخلاف هذا، فلو كان عنده عن سَمُرَة مرفوعاً لما عَدَل عنه إلى غيره، والله أعلم.

وأيضاً، فالله تعالى إنما خلق «آدم» و«حَوَّاء» ليكونا أصل البشر، وليَبُثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء، فكيف كانت «حَوَّاء» لا يعيش لها ولد كما ذكر في هذا الحديث إن كان محفوظاً؟ والمظنون بل المقطوع به أن يرفعه إلى النبي ﷺ خطأ، والصواب وقفه، والله أعلم، وقد حَرَّرنا هذا في كتابنا التفسير، ولله الحمد[1].

وجاء في حديث القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فجلست إليه، فقال لي: **«يا أبا ذر! إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان، فقم فاركعهما»**، فلما ركعتهما جلست إليه، فقلت: يا رسول الله! إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: **«خير موضوع، استكْثِرْ أو استَقِلَّ»**، ثم ذكر قصة طويلة، قال فيها: قلت: يا رسول الله! كم الأنبياء؟ قال: **«مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»** قال: قلت: يا رسول الله! كم المرسل من ذلك؟ قال: **«ثلاثمائة وثلاثة عشر جَمًّا غفيراً»** يعني: كثيراً طيِّبًا، قال: قلت: يا رسول الله! من كان أولَهم؟ قال: «آدم» قال:

(١) البداية والنهاية (١/١٠٨).

قلت: يا رسول الله! وآدم نبي مرسَل؟ قال: «**نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سَوَّاهُ قُبُلاً**» أي: عِياناً[١].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: وفي حديث الإسراء الذي في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ لما مَرَّ بآدم وهو في السماء الدنيا، قال له: «**مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح**»، قال: **وإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، فقلت: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا «آدم»، وهذا نَسَمُ بنيه، فإذا نظر قِبَلَ أهل اليمين، وهم أهل الجنة، ضحك، وإذا نظر قِبَلَ أهل الشمال، وهم أهل النار، بكى**»[٢].

وأما عن عمر «آدم» عليه السلام فقد أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٢] ، قال: أخرج ذريته من ظهره في صورة كهيئة الذر، فعرضهم على «آدم» بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم، قال: فعرض عليه روح «داود» في نور ساطع فقال: من هذا؟ قال: هذا من ذريتك، نبي خلقته، قال: كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: زيدوه من عمري أربعين سنة، قال: والأقلام رطبة تجري، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون، وكان عمر «آدم» ألف سنة، فلما استكملها إلَّا الأربعون سنة بعث إليه ملك الموت، قال: يا آدم! أمرتُ أن أقبضك، قال: ألم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: فرجع ملك الموت إلى ربه ﷻ، فقال: إن «آدم» يدَّعي من عمره أربعين سنة، قال: أخْبِرْ «آدم» أنه جعلها لابنه «داود»، والأقلام رطبة، وأثبتت لداود الأربعين.

ويزعم أهل التوراة أن عمر «آدم» عليه السلام كله كان تسعمائة سنة وثلاثين سنة[٣].

وعن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن الحسن، عن النبي ﷺ، قال:

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ١٥١).
(٢) البداية والنهاية (١/ ١٠٩).
(٣) تاريخ الطبري (١/ ١٥١).

لما توفي «آدم» غسلته الملائكة بالماء وِتْراً، وألْحَدوا له ـ أي: عملوا له لحداً، وهو القبر ـ وقالت: هذه سنة «آدم» في ولده.

وروى سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن ذكوان، عن الحسن بن أبي الحسن، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أباكم آدم كان طُوَالاً كالنخلة السحوق، ستين ذراعاً، كثير الشَّعَر، مُوارَى العورة، وأنه لما أصاب الخطيئة بدت له سوأته، فخرج هارباً في الجنة فتلقته شجرة، فأخذت بناصيته، وناداه ربه: أفراراً مني؟ يا آدم! قال: لا والله، يا رب! ولكن حياء منك مما قد جنيت. فأهبطه الله إلى الأرض، فلما حضرته الوفاة بعث الله إليه بحَنُوطه ـ وهو كل طيب يخلط للميت ـ وكفنه من الجنة، فلما رأت «حَوَّاء» الملائكة، ذهبت لتدخل دونهم إليه، فقال: خَلِّي عني وعن رسل ربي، فإني ما لقيتُ ما لقيت إلَّا منك، ولا أصابني ما أصابني إلَّا منك.

فلما قُبِض غسَّلوه بالسِّدْر والماء وتراً، وكفَّنوه في وتر من الثياب، ثم لحدوا له فدفنوه، ثم قالوا: هذه سنة ولد «آدم» بعده[1].

وعن الحارث بن محمد، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام بن محمد، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما مات «آدم» عليه السلام قال «شيت» لجبرائيل ـ صلى الله عليهما ـ: صَلِّ على «آدم»، قال: تقدم أنت فصَلِّ على أبيك، وكَبِّر عليه ثلاثين تكبيرة، فأما خمس فهي الصلاة، وأما خمس وعشرون فتفضيلاً لآدم عليه السلام.

وقد اختلف في موضع قبر «آدم» عليه السلام فقيل: دفن بمكة في غار «أبي قُبَيْس»، وهو غار يقال له: غار الكنز، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما خرج «نوح» من السفينة، دَفَنَ «آدم» عليه السلام ببيت المقدس.

وروي عن ابن عباس، ما حَدَّث به الحارث، قال: حدثنا ابن سعيد، قال: أخبرني هشام بن محمد، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: مات «آدم» عليه السلام ـ على بَوْذ ـ قال أبو جعفر يعني الجبل الذي أهبط عليه

(١) تاريخ الطبري (١/ ١٦٠).

وذكر أن «حَوَّاء» عاشت بعده سنة، ثم ماتت رحمهما الله، فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت، وأنهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان، حتى كان الطوفان، فاستخرجهما «نوح» وجعلهما في تابوت، ثم حملهما معه في السفينة.

فلما غاضت الأرض الماء رَدَّهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان، وكانت «حَوَّاء» قد غَزَلَت ـ فيما ذكر ـ ونسجت، وعجنت، وخبزت، وعملت أعمال النساء كلها[1]. رحم الله أم البشر «حَوَّاء»، ورحم الله «آدم» أول الأنبياء.

(١) تاريخ الطبري (١/ ١٦١).

obeikandl.com